الجامعـــة

الضوضاء والصخب كبير هنا فى تلك القاعة الضخمة ، والتى يمكنها ان تتسع لالف فرد فهى اشبه بالمسرح الكبير وتحوى العديد من المقاعد المصفوفة بشكل متدرج ، فكل صف من المقاعد اعلى من الصف الذى قبله ، فى صدر القاعة توجد منصة القاء شبيهه بتلك التى يستخدمها الساسة حين يعقدون المؤتمرات الصحفية ، شدة الضجيج تجعلك لا تكاد تميز صوتا عن الاخر ، فهذا يتحدث مع هذا وهؤلاء يتبادلون النكات والضحكات مع هؤلاء ، وها هو احدهم يشير لاخر لكى يأتى ليجلس إلي جواره ، وهذا يُسر لزميله بشىء ، وذاك الشاب يلكز زميله فى قدمه لينظر إلي شىء ما ، وتلك فتاة تمسك اوراق فى يدها وتقرأها مع نفسها بصوت مسموع ، وبعض الفتيات ملتفات حول بعضهن يتهامسون بصوت خفى . تلك هى حالة قاعة الدكتور " على مبارك " التى تضم طلبة الفرقة الرابعة بقسم التاريخ فى كلية الاداب بجامعة القاهرة ، قرابة الخمسمائة طالب وطالبة بالسنة النهائية ، والجميع فى انتظار الدكتور " رياض السنهورى " استاد مادة التاريخ الفرعونى والذى ياتى من كلية الاثار ليحاضر لطلبة قسم التاريخ فى محاضرة اسبوعية كل احد ، ودوما ترى الصفوف الأولى يحتلها مجموعة الطلبة الذين عادة يكون تركيزهم منصب على الدراسة فقط واغلبهم من الطالبات مع قلة من الشباب الذكور ، ثم في الصفوف الخلفية ترى

الغالبية من الشباب الذكور والذين يغلب عليهم في جلساتهم المرح والهزار ولا يخلو الامر من الهمز واللمز حتى اثناء الشرح فى بعض المحاضرات ، وكذلك لا يخلوا الامر من بعض الطرائف والتعليقات بينهم ، وفي الصف الأخير من المدرج يحب سفيان الجلوس وسط زملاؤه في الصفوف الخلفية ، وبينما الجميع فى انتظار الدكتور رياض لالقاء المحاضرة، يجلس سفيان في الصف الأخير واضعا راسه على المسند الخشبى الذى امامه في حالة استرخاء اقرب إلي النوم ، وبجواره مباشرة يجلس صديقه المقرب " مروان الطرابلسى " ذلك الفتى المدلل ذو الملامح الغربية من بشرة بيضاء و شعر اشقر وعيون خضراء و ابن رجل الاعمال الكبير "سرحان الطرابلسى " ذو النفود والعلاقات المتعددة حتى ان اصدقاء سرحان الطرابلسى يطلقون عليه لقب " الاخطبوط " ووالدته هى السيدة " ميار الفاسى " ذات الاصول التركية والذى ورث مروان عنها ملامحه الغربية ، يتبادل مروان الضحكات والنكات مع بقية الزملاء بجواره ، ثم و بركلة مفاجئة من مروان في قدم زميله سفيان ، يرفع سفيان راسه لينتبه ان الدكتور رياض ، قد دخل إلي القاعة وعم الصمت المكان مع دخول ذلك الرجل الخمسينى للقاعة ، يتقدم الكتور رياض نحو منصة الالقاء بقاعة المحاضرة في مشهد ملىء بالمهابة ، حيث الملابس المنمقة من بدلة سوداء كاملة على جسد نحيل ممشوق كعارضى الأزياء ، وقميص أبيض ناصع ، ورباطة عنق سوداء ، مع نظارة النظر ، وحذاء اسود لامع ، والحقيبة الجلدية القابض عليها تحت ابطه ، مما يشعرك بانك امام

مسئول في وزارة الخارجية أو المخابرات وليس استاذ فى الجامعة ، يدخل الدكتور رياض إلي المدرج في خطوات معتدلة عليها الوقار ، ويتقدم نحو منصة الالقاء بالقاعة ليضع حقيبته عليها ويبدأ في فتحها ويخرج بعض الأوراق منها يرتبهم بين يديه ثم يغلق الحقيبة ويضع نظارته فوقها وينظر إلي الطلبه وبلهجة مقتضبة يلقى السلام على الطلبه ، معلنا ان محاضرة اليوم ستكون عبارة عن مقدمة في التاريخ الفرعونى ، ومن ثم بدأ في سرد مقومات الحضارة الفرعونية متحدثا عن عظم تلك الحضارة ومجدها وشواهدها العظيمة وكيف بهرت العالم ، وتعرض كذلك لمجهودات العالم الفرنسى شامبليون فى فك رموز و طلاسم حجر رشيد ' وكيف ان العالم على تطوره وتقدمه لم يزل عاجز عن فهم الكثير من خبايا تلك الحضارة واسرارها ، واخذ يعطى فكرة عامة عن الاسر الفرعونية وأسماء مؤسسى تللك الاسر ، واشهر ملوكهم والاحداث اللتى وقعت في عهدهم ، ثم امعن في تفاصيل الكثير من الاحداث والوقائع وكلا منهم مدعم بسنة وقوعة وشواهد من نصوص على الجدران والمعابد ، هذا والطلبة امامه ما بين ناظرا اليه يدون خلفه النقاط الهامة ، وبين من يحاول كتابة كل ما يقوله ، وهؤلاء اغلبهم من الطلبة الموجودين بالصفوف الأولى ، وهناك الطلبة الموجودين بالصفوف الخلفية والمكتفين بالمتابعة في صمت ، ومنهم سفيان ، والذى كان يبدوا عليه شيء من الاستغراب ، ثم وبشكل مفاجأ رفع يده طالبا الحديث ، فنظر اليه الدكتور رياض وبلهجة حادة وصيغة أمرة وهو يشير اليه بالسبابة وجه القول له :

-- اخبرتكم اكثر من مرة ان لا يقاطعنى احد اثناء الشرح ، اجلس مكانك وفى نهاية المحاضرة سل ما شئت .

... جلس سفيان والخجل يعتريه ، وزملاؤه من حوله يكتمون ضحكهم ، و اخذ يلوم نفسه على ما فعل من محاولة السؤال ، فما انتابه الا الحرج وسط اقرانه

.. اقترب منه زميله مروان وهمس في اذنه ساخرا وهو يكتم ضحكته ..

-- تحمل يا صديقى ، تلك ضريبة من يريد العلم .

.. فنظر اليه سفيان بشق عينه ، ولم يعيره انتباها واخذ يتابع الدكتور رياض وفى داخله يصب عليه اللعنات ، بعد ان اخجله وسط زملاؤه ، وبعد ان شرح واستفاض الدكتور رياض في المحاضرة ، اعلن ان من لديه سؤال يمكنه ان يسأل ، فلم ينهض احد للسؤال ، أعاد عليهم الامر انه بإمكان من يريد السؤال ان يسأل ، فبقى الجمع كما هو ، ثم اشار إلي سفيان قائلا :

-- انت يا من تجلس بالصف الاخير الم يكن لديك سؤال ؟؟

-- نهض سفيان واقفا ومحاولا التبسم ، كلا يا دكتور ، شكرا

... لم يعلق عليه الدكتور رياض واخذ يلملم أوراقه ويضعها في الحقيبة ، وارتدى نظارته ، وخرج من القاعة ، ليعود الصخب والضجيج مرة أخرى إلي القاعة ، وهذه المره يصبح سفيان هو مادة التنكيت والسخرية ، على هذا الموقف الذى تعرض له من الدكتور رياض ، ليسارع زميله " عامر " موجها السؤال اليه وهو يبتسم .

-- عن اى شىء كنت تريد ان تسأل يا سفيان ؟؟

.. لينظر اليه سفيان قائلا و بلهجة قاطعة :

-- ليس لك شان بهذا ؟

..ينفجر الجميع ضاحكا ثم يبدأوا في أخذ اغراضهم من حقائب وكتب ويتهيئون للخروج من القاعة ، ليهبطوا إلي فناء الجامعة وينضم كل طالب إلي زميل له و يمشى البعض منفردا ، ويتبع مروان صديقه سفيان متأبط كتفه ، وينظر اليه مبتسما :

-- تناسى ما حدث يا سفيان ، فتلك عادة الدكتور رياض وطريقته ، ولكن اخبرنى عن اى شىء كنت تريد ان تسأل ؟؟

-- نظر اليه سفيان متنهدا بملء صدره " اخشى ان اخبرك فتسخر " ؟؟

-- مروان محاولا كتم ضحكه ، كلا يا صديقى ، لن اسخر ، هيا تكلم

-- سؤال عميق ، طرأ على خاطرى ، يمكنه ان يغير مسار كل ما ندرسه وتعلمناه فى كتب التاريخ

... لم يستطع مروان تمالك نفسه اكثر من هذا فاطلق ضحكته وهو ينظر لسفيان قائلا :

-- سؤال عميق !! ومن اين اتاك هذا العمق ؟؟

-- كنت اعلم انك ستسخر ، فلتنسى هذا الامر ولنذهب لنرى مطعم خارج الجامعة فانا اشعر بالجوع .